المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:07، العدد:02 (2023)، ص55-72

قرطاجة في مواجهة دونيسيوس طاغية سيراكوزة

Carthage confronts Dionysius, tyrant of Syracuse

مراد ريغي
جامعة المسيلة (الجزائر)
mourad.righi@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2023/10/04

تاريخ القبول: 2023/11/17

الكلمات المفتاحية:
- ✓ قرطاجة
- ✓ سيراكوزة
- ✓ دونيسيوس
- ✓ حروب صقلية

الملخص:

الهدف من هذه الدراسة هو الوقوف على مرحلة هامة من تاريخ قرطاجة في صراعها الكبير ضد إغريق صقلية، في فترة حكم الطاغية دونيسيوس لسيراكوزة (405- 367 ق. م)، المدينة التي لطالما أعلنت الحرب على قرطاجة ومصالحها في الجزيرة، منذ أن ظهر فيها القائد جيلون على إثر معركة هيميرا 480 ق. م، فدارت بينها معارك على الأرض حشد فيها كل طرف كل ما يمتلكه من إمكانات عسكرية وخبرة سياسية، من معركة جيلا وسيجاست وموتيا، إلى حصار سيراكوزة الأول عام 396 ق. م، وأباكاينوم وشريزاس وكابالا، ولم تغيب مبادرات السلام بين الطرفين، إذ تخللت هذا الصراع معاهدات سلام مهمة، كانت للدبلوماسية القرطاجية دور هام فيها، سواء من حيث نتائجها أو من حيث التزامها بها، عكس ما ظهر به الطاغية دونيسيوس، فقد حافظت قرطاجة على مصالحها في هذا الصراع، أمام قوى عسكرية متحالفة، وأقلام إغريقية تغذيها روح الكراهية والدعاية للهيلينية من أفلاطون إلى ديودور الصقلي.

Abstract:

The aim of this study is to examine an important stage in the history of Carthage in its great struggle against the Greeks of Sicily, during the period of the rule of the tyrant Dionysius of Syracuse (405-367 BC), the city that had always declared war on Carthage and its interests on the island,, battles took place between them, in which each party mobilized all of its military capabilities and political experience, from the Battle of Gela,To Kabala, the Carthaginian diplomatic experience played an important role in it, whether in terms of its results or in terms of its commitment, contrary to what the tyrant Dionysius appeared to show. Carthage preserved its interests in this conflict, in the face of allied military forces and pens. A Greekism fueled by the spirit of hatred and propaganda for Hellenism from Plato to Diodorus of Sicily.

Article info

Received: 04/10/2023

Accepted: 17/11/2023

Key words:
- ✓ Carthage
- ✓ Syracuse
- ✓ Dionysius
- ✓ Sicily Wars

مقدمة

لم يكن التدخل القرطاجي بعد 70 سنة من السلام بعد معركة هيميرا 480 ق. م، ليحدث إلاّ بعدما تحرشّ الإغريق، وبالخصوص إغريق صقلية بالأراضي البونية، وذلك بعد محاولة سيلينونت المدعومة من سيراكوزة السيطرة على سيجاست حليفة قرطاجة في غرب صقلية، ومنذ ذلك الحين عاد الصراع مرة أخرى بين قرطاجة وسيراكوزة، التي كان يحكمها طغاة من جيلون إلى دونيسيوس، هذا الأخير الذي سعى من جهة لتمكين حكمه وسلطته على الشعب، وإخضاع كامل صقلية من جهة أخرى، فدخل في مواجهة ضد القرطاجيين عبر معارك طاحنة تخللتها عدة معاهدات سلام.

1. قرطاجة وسيراكوزة

شكلت سيراكوزة اكبر منافس لقرطاجة في صقلية قبل روما، وكانت المواجهة بينهما أمرا محتوما، لأنهما باختصار كانتا من أغنى المدن في وسط البحر المتوسط، فكانت سيراكوزة لسنوات طويلة مقر هيمنة امتدت إلى جزء كبير من صقلية الشرقية، وأجزاء من جنوب إيطاليا، ومن ناحية أخرى سيطرت قرطاجة على جزء كبير من شمال إفريقيا إلى غرب منطقة الإخوة فيلان (Hall,2023,p27)[1]؛ وقبل الحديث عن مرحلة الصراع ضد طاغية سيراكوزة دونيسيوس، علينا أن نطرق تلك المرحلة التي شهدت التوتر بين قرطاجة وسيراكوزة، فيمكن الرجوع الى عام 480 ق.م لتفسير جذور هذا الصراع وهو تاريخ معركة هيميرا التي وردت عند هيرودوت في كتابه (7،166) وديودور الصقلي (XX،20-24)، وبعد ذلك تجدد الصراع عام 410 ق.م، تمكن حنبعل من السيطرة على سيلينونت، وهيميرا في 409 ق.م، وبين 406 و405 ق.م وبمساعدة هيميلكون تم إخضاع مدينة أجريجانت، وهو التاريخ الذي شكل بداية ظهور الطاغية دونيسيوس على مسرح الأحداث (Bouffier,1999,pp 56-57).

فالحديث عن دونيسيوس في هذه المرحلة يجرنا إلى تتبع الأنظمة الطاغية التي شهدتها صقلية، إذ ظهرت فيها أقدم الأنظمة الاستبدادية في مدينة أجريجانت (أكراغاس)، لكن أولها على الإطلاق كان حكم هيبوقراط في جيلا، الذي خلف جيلون ونقل العاصمة إلى سيراكوزة، وهزم بعدها القرطاجيون في هيميرا، ثم ظهر أخوه هيرون ثم بعده ثيرون، وكان دونيسيوس الأكبر (الأول) من بين طغاة صقلية تأثيرا وكذلك على مستوى العالم الإغريقي؛ بدأ حياته ككاتب، لكن نجاحاته في الحرب ضد قرطاجة -خلال حملة أجريجانت على وجه الخصوص- سرعان ما أوصلته إلى الصدارة، وأصبح القائد العسكري الأعلى للقوات السيراكوزية في عام 406 ق.م؛ وفي العام التالي استخدم سلطته الجديدة للاستيلاء على الحكم لنفسه، ونجح في أن يصبح طاغية مدينته الأصلية (Charles river editors,2016,p39)؛ وقد استمد هذا الطاغية قوته من الحاجة إلى قائد بطل قدر على مواجهة قرطاجة، واعتبره أنصاره أيضا بمثابة جيلون الثاني (Bury,2015,p640)، كما كانت فترة حكمه عند بعض الباحثين مؤشرا هاما لإمبريالية سيراكوزية في جنوب ايطاليا، بعد أن أضحت إمبراطوريتها موجودة على ارض الواقع (Lampadiaris,2021,p34).

2. معارك صقلية بين قرطاجة ودونيسيوس

1.2. معركة جيلا

بالنسبة للجيش القرطاجي فقد ورد اسم القائد القرطاجي هيميلكون (Himilcon) بداية كمرافق لحنبعل في حصاره لأجريجانت عام 406 ق. م، عند ديودور الصقلي (Diodore de Sicile,1948,XII,86) في مكتبته التاريخية وجيستان (JUSTIN,1862,XIX,2,1) في مختصره كتاب تروق بونبي (TroguePompée) عندما تحدث عن أوضاع قرطاجة بعد هزيمتها في هيميرا، حيث ذكر أنه بعد مقتل عبد ملقرت في حروب صقلية، كان له ثلاثة أولاد هيميلكون وحنون وجيسكون، وفي العام الموالي أي في ربيع 405 ق.م غادر هيميلكون أجريجانت متجها إلى جيلا، واختار أن يعسكر غربها بالقرب من نهر جيلا، وبدأ القرطاجيون بمهاجمتها من خلال دكّ جدرانها بمدكّات رأس الكبش (Béliers)، لكن السكان تمكّنوا من صد الهجوم، وأعادوا غلق الفتحات التي أحدثها القرطاجيون، وذلك ما لم يجدي نفعا أمام ضعف التحصينات وقوة القرطاجيين (Diodore , 1948,XIII.108)، وإذا تفقدنا رواية ديودور الصقلي نلحظ غموضا يكتنفها، خاصة إذا تعلق الأمر بتحديد المواقع, فقد أكد المؤرخ بوليبيوس قصور كل من تيمي وايفور – من مصادر ديودور الأساسية– في توضيح مسرح وأرض المعارك، كما انتقد ديودور الصقلي مثلهم، فالأرجح أن تكون الرواية كالتالي "**مرّ على طول النهر الذي اسمه كاسم المدينة وعسكر هناك**" (Caven, 1990,p61).

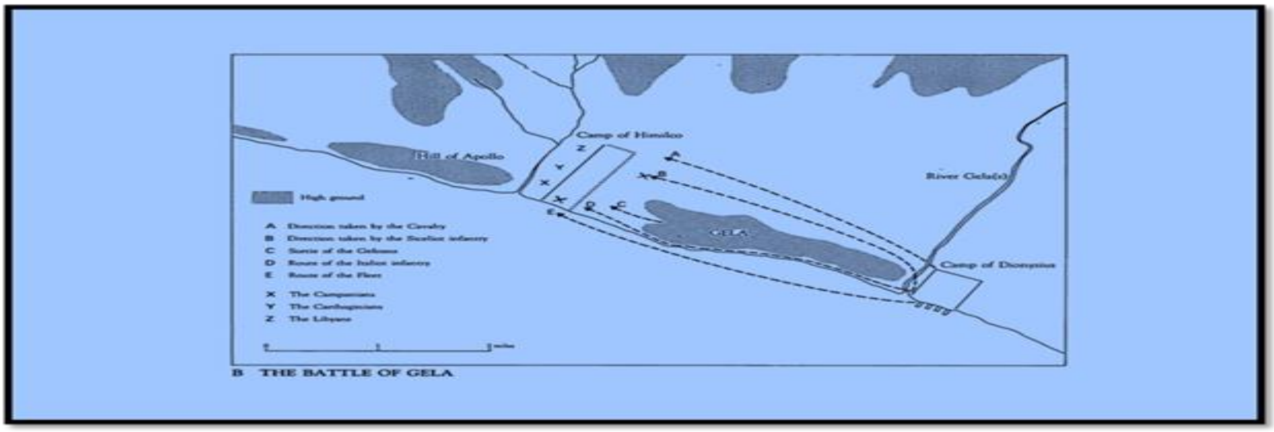
ومن ناحية أخرى كان لظهور دونيسيوس أحد طغاة سيراكوزة الذي حكم بين (405 –367 ق. م)، فرصة الحصول على دعم من إيطاليا بسرعة، تمثل في فرق من الإغريق الذين انضمّوا إلى المجموعات التي قدّمها بقية الحلفاء، وفضلا عن ذلك جند عددا كبيرا من السيراكوزيين وفرق أجنبية أخرى؛ ويذكر ديودور الصقلي(DIODORE ,1948,XIII, 109) أنّ عدد هذه الجيوش لا يتجاوز حسب تيمي 30000 من المشاة و1000 من الفرسان و50 سفينة ثلاثية؛ بهذه القوة عزم هذا القائد مواجهة القرطاجيين ونجدة مدينة جيلا، فعسكر بالقرب منها بمحاذاة البحر، لأنه كان يرغب في المهاجمة برا وبحرا، متفاديا تشتيت قواته؛ وبدأ يواجه القرطاجيين بقواته الخفيفة، وبقواته البحرية والفرسان، ثم تصدى لقوافل الإمداد التي كانت في طريقها إلى المعسكر القرطاجي؛ ويضيف ديودور(DIODORE ,1948,XIII, 109) أنه وبعد مرور عشرين يوما من دون نتيجة حاسمة، أمر بتقسيم جيوشه إلى ثلاثة أقسام : الأول من الصقليين الذين أعطاهم أمر التقدم يمين المدينة، والقسم الثاني من الحلفاء الذين انتقلوا حتّى حواف البحر يسار المدينة، والقسم الثالث يقوده دونيسيوس ومكون من الفرق الأجنبية، وتوجه صوب المدينة لمواجهة القرطاجيين وآلاتهم الحربية، وأعطى الأوامر للفرسان بالتقدم بمجرد رؤية فرق المشاة تتحرك وتعبر النهر إلى السهل، وأن تنضمّ إلى صفوفها في حالة فشلها، وأخيرا يمكن للسفن أن تتقدم نحو المعسكر لتدعيم هجوم الإيطاليين (الذين يشكلون القسم الثاني من جيش دونيسيوس).

ويذكر ديودور (Diodore,1948,XII,110) أنّ القرطاجيين حاولوا التصدي لهذا الهجوم الجماعي، أمّا

الايطاليين حلفاء دونيسيوس فقد استغلوا ضعف تحصينات المعسكر القرطاجي في الجهة المحاذية للبحر، واستطاعوا دخوله من دون عناء، ذلك ما أحدث في بداية الأمر ذعرا كبيرا في صفوف القرطاجيين، لكن العدد الهائل من أفراد الجيش القرطاجي الذين كانوا في المعسكر أجبروهم على التراجع إلى الوراء، وفي المقابل وصلت المجموعة الصقلية التي كانت في طريقها عبر السهل متأخرة، فلم يكن باستطاعتها تدعيم هجوم الفرق الإيطالية، وعن القسم الذي يقوده دونيسيوس من الأجانب فقد تعرض لضغط بين أحياء المدينة، ولم يتمكن من السير بسرعة في مثل هذه الوضعية، هذا وقد خرج الجيليون (سكان جيلا) لمساعدة الإيطاليين، لكن لمسافة قليلة خوفا من ترك الأسوار بدون حراسة، وبالتالي كانت النجدة متأخرة وزادت الوضعية سوءا.

سارعت مجموعة من المرتزقة الآيبيريين والكومبانيين من الجيش القرطاجي، لمهاجمة إغريق إيطاليا وقتلوا منهم أكثر من 1000 فرد، ولاذ البقية منهم بالفرار إلى داخل المدينة، وفي نقطة أخرى من سير المعركة، تمكّن الصقليون من جيش دونيسيوس من قتل عدد كبير من الليبيين، ولاحقوا الفارّين حتىّ المعسكر، لكنهم سرعان ما جوبهوا بتدخل قوي من المرتزقة الآيبيريين والكومبانيين ومن القرطاجيين أيضا، وقتل من الصقليين ما يقارب 600 فرد، وتراجع البقية مع الفرسان نحو المدينة، أمّا عن القائد دونيسيوس فقد عبر مدينة جيلا بصعوبة، بعد سماعه بتراجع قواته أمام القرطاجيين (Diodore,1948,XII,110).

ويرجع بعض المؤرخين فشل مخطط القائد الإغريقي دونيسيوس، إلى استحالة تنفيذه على أرض المعركة، في غياب تنسيق محكم بين مختلف أقسام الجيش(Bury,2015,p640)، ومن جهة أخرى من المؤكد أنّ تقاليد القرطاجيين في حروب الحصار هي التي حسمت المعركة؛ وبعدما أدرك الإغريق عدم جدوى مواصلة المعركة، قرّر دونيسيوس الخروج مع جميع السكان من المدينة، على اثر ذلك نقل القرطاجيون في اليوم الموالي معسكرهم إلى داخل المدينة وسيطروا عليها، في المقابل أمر دونيسيوس في كمارينا بنقل السكان إلى سيراكوزة تجنبا للحرب (Diodore de Sicile,XIII,111)، وإذا كانت هذه الهزيمة التي مني بها دونيسيوس مجرد خسارة، فإنها من الناحية الإستراتيجية كان لها أثر بالغ على سير المواجهة بينه وبين القرطاجيين(Caven,1990,p72).



مخطط معركة جيلا 405 ق م، المصدر: Caven, (1990),p64

AHJ المجلة التاريخية الجزائرية
The Algerian Historical Journal
EISSN: 2716-9065 / ISSN: 2572-0023

وقد أصبح دونيسيوس بعد هذه الهزيمة في وضعية حرجة، ففشله في فك الحصار معناه بقاء جيلا محاصرة حتى الشتاء، ورجوعه مرة أخرى إلى جيلا بعد الشتاء لنجدتها، قد يمكن أعداءه السياسيين من استغلال فرصة غيابه، وذلك ما أجبره على الانسحاب (Bentely,1999,p173)، فضلا على أن هذا الانهزام قد تسبب في اندلاع معارضة شديدة ضده (Finly,1968,p86)، كما كانت هذه الظروف سببا في اتهامه بالتماطل وبتعمده ما حدث، قصد كسب ثقة المدن الأخرى كطاغية، وأن يمتلك الخوف والذعر سكان المدن خوفا من القرطاجيين، كما أتهم بتباطئه في نجدة جيلا، فلا خسائر حدثت في صفوف جيشه، والأدهى من ذلك فراره من دون أن يتحقق من نتيجة المواجهة ومن دون دافع مقنع، ولم يلاحق أعداءه، وزيادة على هذه الحالة التي آل إليها دونيسيوس، كان هدفا لبعض الإيطاليين والفرسان السيراكوزيين الذين حاولوا التخلص منه (Diodore,1948,XIII,112).

ويبدو أنّه كما أشار ديودور الصقلي (Diodore,1948,XIII,113) أصبح في وضع حرج، ومع ذلك استطاع إفشال مشروع الفرسان الذين اعتقدوا عدم عودته إلى المدينة، وتمكن من قتل كل معارضيه وأخرج فئة الفرسان من سيراكوزة. وحول أهمية العمليات العسكرية التي خاضها القرطاجيون منذ عودة الصراع ضد الإغريق أشار غزال (GSELL ,T II,p412) قائلا: "**إنّ أكبر العمليات التي شهدتها صقلية في السنوات 409– - 406 – 405 ق.م لها مكانة هامة في تاريخ الحصار، فبعد تقدم الماغونيان، حنبعل وهيميلكون إلى المدن الإغريقية، سيلينونت، هيميرا، أجريجانت وجيلا، أرادا السيطرة عليها بقوة كبرى وفي أسرع وقت ممكن...**"، ومع ذلك ترجعنا روايته حول المعركة إلى ما وجهه بوليبيوس من انتقادات للمؤرخين كمؤرخي كراسي، الذين ليس بإمكانهم تقديم تفسير للمعارك، فديودور أخطأ بالطبع في تزويدنا بكثير من التفاصيل (Caven,1990,p66).

2.2. معاهدة السلام مع دونيسيوس 405 ق.م

تحدث ديودور الصقلي (Diodore,1948,XIII,114) عن معاهدة سلام بين القرطاجيين ودونيسيوس بطلب من القائد هيميلكون، ومن المحتمل أيضا أن يكون دونيسيوس مجبورا على توقيع اتفاق ليس في صالحه (Thatcher,2021,p122) وجاء في نص المعاهدة:

– القرطاجيون بغض النظر عن مستعمراتهم السابقة، يشرفون على السيكان (Lessicaniens)، السيلينونت (les Sélinontins)، الأجريجانت (les Agrigentins)، الهيميريين (les Himériens)الجيلينيين (Les Géléens)، والكمارنيين (les Camarinéens) الذين يسكنون مدنا محصنة ويدفعون الغرامة إلى القرطاجيين.

– يحكم سكان ليونتيني (Les Léontins) والمسينيين (les Messiniens)، وجميع الصقل وفق قوانينهم الخاصة.

– تبقى سيراكوزة تخضع لدونيسيوس.

– تبادل أسرى الحرب والسفن المحجوزة(Diodore,1948,XIII,114) .

ويتضح لنا من خلال هذه التطورات، أنّ القرطاجيين باتوا في وضع متقدم من حيث القوة والنفوذ، مقابل

تراجع قوات دونيسيوس والإغريق في صقلية، ذلك ما فتح تساؤلات كثيرة لدى بعض المؤرخين المحدثين، فقد أشار وارمينغتون (Warmington,1961,p124) إلى صعوبة قبول فكرة إقدام هيميلكون على السلام، من دون استغلال هذه الفرصة الكبيرة في القضاء على أعدائه والسيطرة على الجزيرة، وفي السياق نفسه يرى أنّ الرغبة في السلام التي توفرت لهيميلكون هي الدافع لإبرام هذه المعاهدة، ومن المرجح أنّ هذه الفكرة هي الأكثر قبولا عند كثير من المؤرخين منهم، قلالة، البقلوطي (Kallala,1991,pp165-167)، (BACLOUTI,1995,p4).

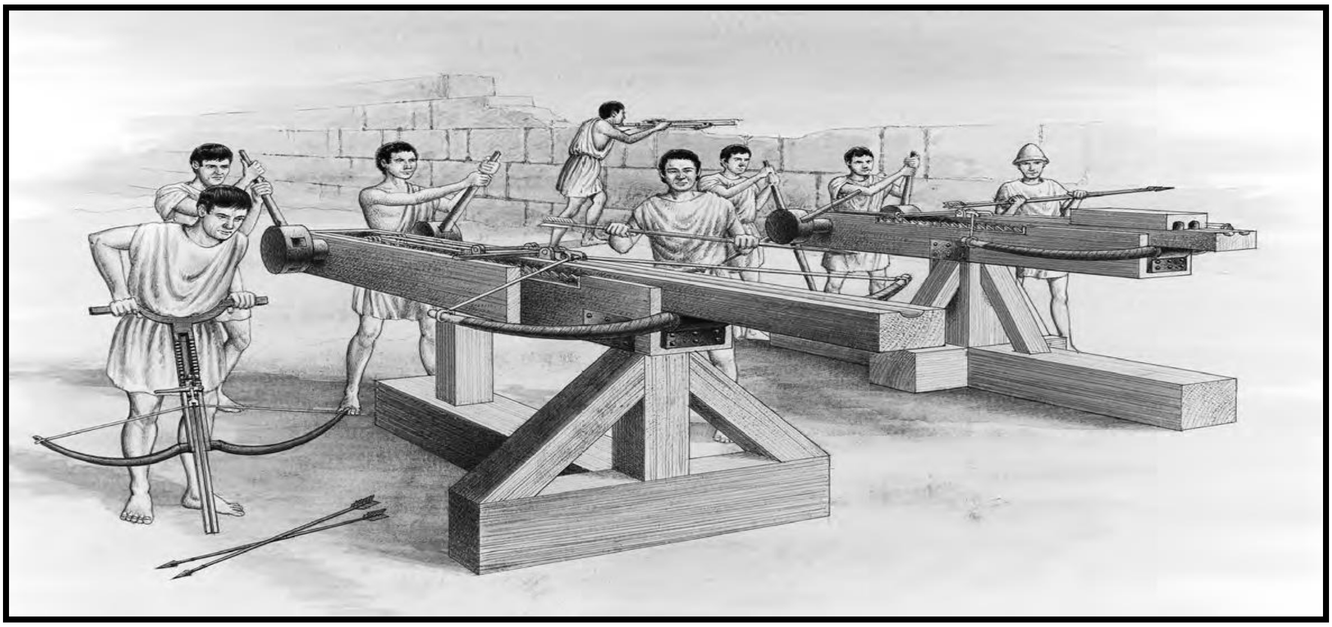
وقد حقق هذا الاتفاق إشراف قرطاجة على المستوطنات الفينيقية القديمة في غرب صقلية، وعلى الإيليميين في سيجاست وعلى السيكان، أمّا سكان أجريجانت وسيلينونت وهيميرا فيمكن لهم الرجوع إلى مدنهم المهدمة، ولكن كرعايا عند قرطاجة، فكان الاتفاق في صالح القرطاجيين حيث أضحت أراضي قرطاجة في صقلية أوسع بكثير على ما كانت عليه في السابق، فحصولها على أراض واسعة خصبة في الجزيرة، مع عدد كبير من الرعايا يدفعون الضريبة، قد يشكل موردا هاما وحيويا للخزينة القرطاجية (Warmington,1961,p124) لتمويل مختلف مشاريعها، فضلا على تسديد أجور مرتزقتها.

ورأى بعض المؤرخين (Finly,1968,p82) أنّ هذا الاتفاق سجّل اعترافا رسميا من قبل الإغريق بمقاطعة قرطاجية في الجزيرة، وفي الوقت نفسه لم يكن يخدم سيراكوزة ولا تطلعات الطاغية دونيسيوس. وعلّق فريمان عن هذه المعاهدة ورأى أنها في صالح القرطاجيين لأنها: - لم تكن فقط حاجزا أمام تقدم سيراكوزة نحو الشمال، بل أيضا بعض الأطراف من الأراضي التي كانت تابعة لها قد اقتطعت منها. - أصبح بعض سكان المدن رعايا لقرطاجة وآخرون يدفعون الضرائب. - شكّل استقلال بعض المدن إضافة إلى الصقل قيدا محكما لطموحات طاغية سيراكوزة بعد أن كانت من أهدافه التوسع على حساب الصقل في الداخل، وعلى الإغريق في الساحل الشرقي. كل عملية ضد ناكسوس وكتانا أعداء سيراكوزة أصبحت أمرا صعبا في ظل الضمان الذي قدم لاستقلال ليونتيني، وكانت هده النقطة الأكثر قوة في مواجهة أي كومنويلث محتمل تابع لسيراكوزة(Fremman, 1891,T III,pp582-583)، ويقحم مرة أخرى ديودور (Diodore,1948,XIII,114) في روايته فكرة إصابة القرطاجيين بالوباء بعد مصادقتهم على المعاهدة، وحتّى بعد عودتهم إلى ليبيا، وذلك رغبة منه في التقليل من حجم الانتصار الذي أحرزوه في المعركة، ومن النتائج الايجابية التي ترتبت عن المعاهدة، ومن ناحية أخرى شكك فريمان (Fremman, 1891,T III,p587) في هذا الوباء ورأى بأنّ جيوش هيميلكون لم تتعرض لأي وباء في جيلا، وإذا كان كذلك فليس من الطبيعي أن تكون المعاهدة التي أبرمت بين الطرفين تخدم مصالح قرطاجة، وقد تبين من خلال بنود المعاهدة أنّ الحرب كانت انتصارا لقرطاجة (Hall,2023,p49).

3.2. تقويض دونيسيوس المعاهدة

بدأ القائد الإغريقي دونيسيوس بعد المعاهدة التي عقدها مع القرطاجيين، في تنفيذ مشروعه التوسعي في

جميع المدن في صقلية، وبالتالي كان عليه تقويضها وعد الالتزام بها، لذا عزم على محاربة القرطاجيين مرة أخرى؛ وأشار ديودور(Diodore,XIV,41) في حديثه عن المدن الصقلية التي كانت خاضعة لقرطاجة وفق المعاهدة، إلى تخوف دونيسيوس من هجرة الإغريق إليها بعدما استفادت من كامل حقوقها، وربما ذلك كان سببا أخر في إنهاء معاهدة السلام، وفي الوقت نفسه هو إشارة واضحة تؤكد على التعامل المتميز لقرطاجة مع الأهالي، وكما رأى ديودور (Diodore,XIV,41) أنّ ما حلّ في ليبيا من وباء وأمراض كان سببا أخر وفرصة هامة للتملص من بنود المعاهدة. بدأ دونيسيوس يستعد لتنفيذ مشروعه، فكثّف جهوده لكسب حلفاء، وطوّر مجال الصناعات الحربية، وسخرّ العمال في بناء السفن الثلاثية، واستحدث المنجنيق (Catapulte) في سيراكوزة (Diodore,XIV,42)، الذي تمّ ابتكاره من قبل مهدسين تابعين لجيشه (Soedel and Foley,1979,p50)، كما اهتم بتنظيم الجيش فوسّع عملية التجنيد عبر كل المدن، وزيادة على ذلك حاول استمالة كل من مسينا وريجيون مع تعهداته بالحفاظ على أراضيهم، خوفا من دخولهما إلى جانب قرطاجة(Diodore,XIV,42-44)، وموازاة مع هذه الاستعدادات ركّز على جانب آخر لا يقل أهمية وهو عامل الدعاية كما أشار ديودور الصقلي (Diodore,XIV,45) قائلا "**دعا إلى محاربة القرطاجيين واعتبرهم الأخطر على الإغريق والصقليين**"، وهو بذلك يحرض على الدفاع عن الإغريق وإلى استقلال الصقليين، ولم يتوقف عند هذا الحد بل راح يحرض الصقليين لمواجهة الفينيقيين، والتحرش بمصالحهم حيثما وجدت، وهذه الأفكار كثيرا ما تمّ تناولها من قبل بعض المفكرين الإغريق منهم الفيلسوف أفلاطون الذي قال: "**صقلية الإغريقية احتلت من قبل القرطاجيين، وواجهت خطر كبير من أن تتحول إلى بربرية**" ,PLATO, 1997) (T :VIII.353 b، وفي الأخير أرسل إلى القرطاجيين معلنا الحرب ضدهم، إذا لم ينسحبوا من جميع المدن الواقعة تحت سيطرتهم (Diodore,XIV,49).



Campbell, (2011) "Ancient Catapults Some Hypotheses Reexamined
صورة لنماذج مقاليع، المصدر:hesperia 80 , p 680 .

3. غزو دونيسيوس مدينة موتيا 398 ق. م

هي عبارة عن جزيرة صغيرة مستديرة في وسط خليج، موقعها جعلها تؤدي مهمة دفاعية هامة(LÉVÊQUE,1966,p177)، وقد شكلت موتيا حالة استثنائية في علم الآثار الفينيقي، فكانت مدينة مزدهرة من نهاية القرن الثامن وحتىّ بداية القرن الرابع قبل الميلاد (SPAGNOLI,2014,p90)، ويقول غزال (Gsell,1918,T2 p414,)، مؤكدا على التفوق القرطاجي العسكري في المرحلة السابقة: **"قدمت قرطاجة للإغريق دروسا، وبنفس الطريقة استطاع دونيسيوس السيطرة على المستعمرة الفينيقية موتيا..."**، وبعد أن استكمل دونيسيوس استعداداته، بدأ تحرشاته العسكرية، التي لم تقتصر على المدن التي أصبحت خاضعة لقرطاجة بموجب معاهدة السلام، بل طالت أيضا المدن التي أسسها الفينيقيون في صقلية، ومنها موتيا؛ ويروي ديودور الصقلي مجمل المراحل التي مرّ بها الجيش الإغريقي بقيادة دونيسيوس، منذ خروجه من سيراكوزة حتى وصوله مشارف موتيا، بدعم من حلفائه والمرتزقة، حيث انتقل عبر إيريكس، وجند في جيشه الكامارانيين والجيليين ومن أجريجانت، وطلب المساعدة من سكان هيميرا وسيلينونت، وأصبح جيشه مكون من 80000 من المشاة وأكثر من 3000 من الأحصنة، وما يقارب 200 من المراكب الطويلة متبوعة بحوالي 500 من المراكب مملوءة بالمؤن والعتاد الحربي (Diodore,1948,XIV,47)، وبعد هذا صار دونيسيوس يحس بقوة استعداداته التي باشرها وقدرته على تنفيذ مخططه بغزو المقاطعة Epicraty ووضع كامل صقلية تحت سيادته (Caven,1990,p88).

وبات الموتيون يدركون حجم الخطر الذي أصبح يهدد وجودهم، لا سيما بعد علمهم برغبة السيراكوزيين الكبيرة في تحطيم المدينة حليف قرطاجة الدائم، لذا كانوا ينتظرون بشغف قدوم القرطاجيين لحمايتهم، وأول ما قاموا به هو قطع الطرق المؤدية إلى المدينة، للحيلولة دون وصول القوات الإغريقية إلى داخلها، وبعد وصول دونيسيوس إلى موتيا كلّف القادة العسكريين بتهيئه جميع الظروف للسيطرة عليها، من دون أن يغفل استمالة الشعوب التي كانت خاضعة لقرطاجة، ومنها السيكان الذين مالوا إلى جانب سيراكوزة، بالمقابل خمس مدن أبقت على تحالفها مع قرطاجة هي: أنسير Ancyres، سوليس (Solus)، إيجاست أو سيجاست، بانورم، إينتل(Entelle)، هذا ولم تنجو هذه المدن من تحرشات القائد دونيسيوس بسبب مواقفها (Diodore,XIV,1948,48).

وأمام هذه المستجدات الخطيرة، تفطّن هيميلكون لخطة عسكرية شبيهة بالعمليات التي تقوم بها الفرق العسكرية الخاصة، حيث جهز 10 سفن ثلاثية، وأرسلها إلى مدينة سيراكوزة، فدخلت ليلا إلى مينائها وحطّمت كل البناءات البحرية التي تركها دونيسيوس في الميناء، و كان الهدف من ذلك إضعاف وتشتيت قوة دونيسيوس ليجبر على بعث حامية لنجدة قواته في سيراكوزة (Diodore,XIV,1948,49)، ويتضح لنا من ذلك أهمية موتيا بالنسبة لقرطاجة، فلم تدّخر أي جهد في التصدي للخطر الإغريقي الذي بات يهددها، لأن موتيا تمثل بالدرجة الأولى مستوطنة فينيقية، ومعقلا رئيسا للقرطاجيين في الجزيرة، ولعهود طويلة شكلت

مركزا حضاريا للفينيقيين والقرطاجيين على السواء، هذا فضلا على أنها كانت تمثل أهم الموانئ القرطاجية في صقلية.

وبينما عادت السفن القرطاجية إلى ليبيا، اكتسحت قوات دونيسيوس اغلب الأراضي القرطاجية في صقلية، وعزم هذا الأخير على اقتحام أسوار موتيا (Diodore,1948,49)، وأمام هذا الوضع الجديد جهز هيميلكون 100 سفينة ثلاثية، وكان يأمل في فك الحصار على موتيا، ونقل المعركة إلى سيراكوزة شرق الجزيرة، لكن الواقع كان خلاف ذلك، فبعدما أظهرت القوات الإغريقية مقاومة عنيفة وتعدادا كبيرا يفوق القوة والسفن القرطاجية، قرّر في النهاية العودة إلى قرطاجة (Diodore,1948,XIV,50).

ومن هنا أضحت قرطاجة مهددة ولأول مرة في تاريخ صراعها ضد الإغريق، في مدينة موتيا الإستراتيجية في القسم الغربي من جزيرة صقلية، أمّا سكان هذه المدينة فقد أبدوا مقاومة مستميتة عبّر عنها ديودور الصقلي قائلا: "**لم يبق لهم إذن إلاّ الانتصار أو الموت في ساحة القتال**"، لكن بشاعة جيش دونيسيوس كانت أكبر، حيث وبعد دخول الجيش المدينة، قتل كل من صادفه من أطفال ونساء وشيوخ دون تمييز، وفي الوقت نفسه قام ببيع السكان الموتيين كرقيق، واستولى على ممتلكاتهم، وترك المدينة لأصحابه يعثون فيها فسادا، كما أمر بصلب حلفاء قرطاجة(Diodore,1948,52-53)، ولا ندري **لماذا هذه القوات لم تتعرض لأي سوء أو وباء بعد كل ما اقترفته من أعمال مشينة؟**

وقد أرجع بعض المؤرخين انسحاب دونيسيوس من موتيا، إلى قدوم قوات قرطاجية كبيرة إلى صقلية قد تجعله في وضع متأزم، ولذلك ومن باب الحيطة قرر الانسحاب بدل الدخول في مواجهة نتائجها ستكون وخيمة (Bently,1999,p183)، لكن في رأيينا هذا الحدث كان مماثلا لما قام به حنبعل بعد انسحابه من هيميرا، فمن جهة شكل رد فعل قام به دونيسيوس على تحرشات القائد القرطاجي حنبعل على سيلينونت، هيميرا، اجريجانت، ومن جهة أخرى كان يرغب في بقاء الإشراف القرطاجي على غرب الجزيرة، كمبرر لعملياته المتواصلة ضد المدن الإغريقية في صقلية، قصد إخضاعها والسيطرة عليها، ولا نهمل ما جاء به ثيودودورس (Théodoros) أحد الفرسان السيراكوزيين، عندما أراد مقارنته بالقائد جيلون، حيت اتهمه بالهروب من موتيا وحتىّ عدم قدرته على مواجهة العدو (Diodore,1948,XIV,66)، ولكن على الرغم من أن نصوص المؤرخ ديودور الصقلي جاءت قاسية تجاه القرطاجيين، فقد بينت في المقابل صورة قوية حول الحالة الذهنية للمقاومين الموتيين عن مدينتهم(Miles,2011,p134).

4.إنقاذ هيميلكون مدينة سيجاست (Syjeste) 397 ق. م

لم يكتفي دونيسيوس بتحرشاته على موتيا، ففي عام 397 ق.م قام بغزو كل الأراضي التي كانت تابعة لقرطاجة، ولا سيما مدينة سيجاست، حليفتها غرب صقلية، ولم تتأخر قرطاجة في التدخل والاستعداد للمواجهة، إذ أشرف هيميلكون على تجنيد الجنود من ليبيا وآيبيريا، وتجاوز بذلك عدد أفراد الجيش أكثر من 300000 من المشاة، و4000 من الأحصنة، إضافة إلى العربات التي بلغ عددها 400، فضلا عن 400 سفينة طويلة،

و600 مركبة نقل مملوءة بالمؤن وآلات وذخائر وأسلحة (Diodore,1948,XIV,59)، لكن هذه الأرقام في اعتقادنا تبقى غير واقعية ومبالغ فيها، ونفسه ديودور الصقلي (Diodore,1948,XIV,55) يشير إلى حيلة تفطن إليها هيميلكون، فبعد انطلاق السفن أعطى لكل قبطان سفينة كتابا مختوما، ومنعه من فتحه، إلّا إذا وصل إلى عرض البحر، وأن يلتزم بكل ما يجده من تعليمات في هذا الكتاب، وقد اهتدى لهذه الإستراتيجية، خوفا من تسرب خبر انطلاقه إلى القائد الإغريقي دونيسيوس، وانطلقت المواكب والسفن الثلاثية معتمدة على الرياح متجهة نحو موتيا على طول الساحل، وبسرعة ظهرت في أفق صقلية.

وبعد تحرك الجيوش القرطاجية نحو صقلية، أعطى القائد دونيسيوس أمر اعتراض السفن التي قارب عددها 50 سفينة، وكان عليها 5000 فرد و200 عربة قتال، ومن ناحية أخرى وبعد وصول القوات القرطاجية إلى بانورم، أخذت السفن الثلاثية طريقها بمحاذاة الساحل، ثمّ سيطرت على إريكس Uryx، وبينما حاصرت القوات القرطاجية موتيا، كان جيش دونيسيوس في سيجاست يرغب في خوض المعركة، لكن وبسبب نقص المؤونة وبعده عن المدن الحليفة، قرّر نقل الحرب بعيدا، ومع ذلك حاول دونيسيوس بدون جدوى استمالة شعوب السيكان، لذا قرر في الأخير العودة إلى سيراكوزة، مكتسحا كل الأراضي في طريقه، وتاركا وراءه مدينة سيجاست محررة (Diodore,XIV,55)، ويتضح لنا أنّ قرار عودة دونيسيوس إلى سيراكوزة، ما هو إلاّ دليل على التفوق العسكري القرطاجي، الذي بات يشكل عقبة أمام تحرشاته بغرب الجزيرة.

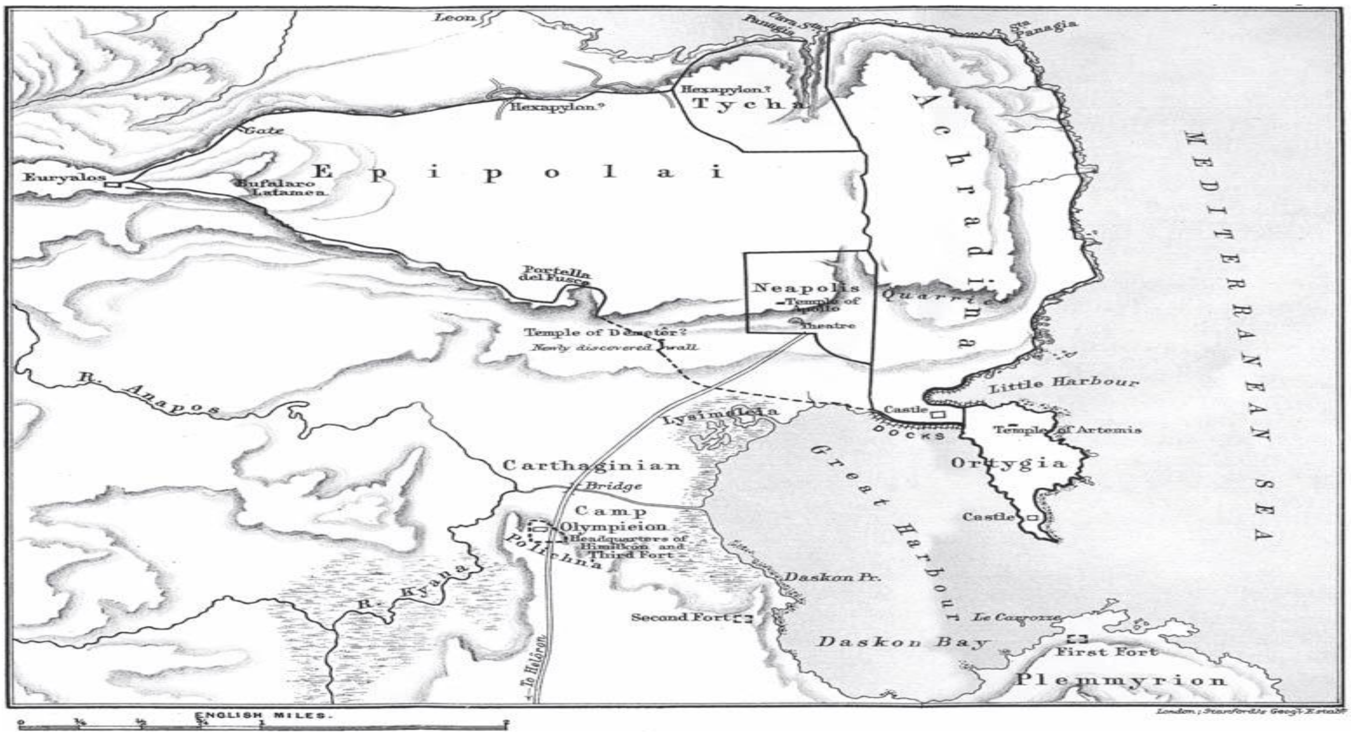
5. هيميلكون وحصار سيراكوزة الأول 3 96 ق. م

بعد انتقال الصراع إلى شرق الجزيرة، أضحت سيراكوزة نفسها هدفا رئيسا للقرطاجيين، إذ دارت أغلب المواجهات في هذه المرحلة بالمناطق القريبة منها، وطغت عليها عمليات الحصار الأربع التي اعتمدتها قرطاجة، بداية من أول حصار عام 396 ق.م إلى الحصار الأخير عام 278 ق.م، والذي تزامن مع ظهور الملك بيروس في سيراكوزة، وقد رغب القائد القرطاجي هيميلكون بعد إخضاعه مدينة كاتانا في استئناف مشروعه والتوجه مباشرة إلى سيراكوزة، الأمر الذي بات يخيف القائد الإغريقي دونيسيوس، فبينما أرسل هذا الأخير أخاه بوليكسان (polyxéne) إلى إغريق إيطاليا وإسبرطا وكورنثا لنجدته، والحفاظ على بقاء المدن الإغريقية في صقلية، تحركت القوات القرطاجية نحو أكبر ميناء في سيراكوزة بـ 208 سفينة طويلة، متبوعة بعدد كبير من الناقلات والسفن، وجيش بري حسب بعض المؤرخين تكون من 300000 من المشاة و3000 فارس، فضلا عن 200 سفينة نقل، وبعد وصول القوات القرطاجية إلى مشارف سيراكوزة، نصب القائد القرطاجي هيميلكون خيمته في معبد جوبيتير، وجمع جيشه حول أسوار المدينة مستفزا السكان لمباشرة المعركة، ثم أرجع الجيش إلى المعسكر (Diodore,1948,XIV,62)، وقدّم هنا ديودور الصقلي تفسيرا أسطوريا آخر للأحداث، إذ أشار إلى حالة القائد هيميلكون، فبعد هدمه معبد كل الآلهة سيريس وبروسربين (Cérés وProserpine) بدأت أموره تسوء تدريجيا، وتعرض جيشه لمرض كان سببا في انهزامه.

ويعود مرة أخرى المؤرخ الإغريقي إلى الوباء الذي حلّ بالقرطاجيين، وجعله من الأسباب الرئيسة في حسم

أي مواجهة عسكرية، فيذكر في الفقرة 70 من نفس الكتاب "**يمكن إضافة أنّ الكثير من الأفراد كانوا يتمركزون في مكان واحد، وفي فصل تكون فيه الأمراض أكثر استفحالا، وكانت حرارة الشمس مرتفعة في هذا العام...**" (Diodore,1948,XIV,63-70)، وجعل من الفقرة 71 بالأساس ليتكلم عن هذا الوباء (Diodore,1948,XIV,71)، ثمّ يرجع إلى دونيسيوس في الفقرة 72 ليستطرد في حديثه حول كيفية استغلاله هذا الحدث، حيث يقول أنه جهّز 80 سفينة وأمر لبتين وفاراسيداس (pharacidas leptine) بمهاجمة سفن القرطاجيين ومحاصرتها مع مطلع اليوم، وسار حول معبد قريب من المعسكر القرطاجي، وباشر مهاجمة مخيم القرطاجيين من دون أن يكشف أمره، وكان عدد الجيش 1000 من مشاة المرتزقة إضافة إلى الفرسان.

وحاصر دونيسيوس معسكر القرطاجيين، واحدث هلعا كبيرا في صفوفهم، فبدأ يحقق تقدما على الميدان، ومن ناحية أخرى تعالت أصوات السيراكوزيين منادية بالانتصار، وأراد القرطاجيون بسرعة إنقاذ المحاصرين، لكنهم لم يستطيعوا فعل ذلك لأنّ معظم سفنهم قد دمرت، فترتب على ذلك أن ثقبت وكسرت أحسن السفن القرطاجية نتيجة الضربات التي استهدفت وسطها، فتناثرت على الشاطئ مملوءة بالجثث (Diodore,1948,XIV,72)، وأشار ديودور إلى نتائج المعركة والخسائر التي مني بها الجيش القرطاجي فذكر 40 سفينة ذات 50 مجدافا، وعددا من السفن الناقلة وبعض السفن الثلاثية، وهذا ما اعتبره المؤرخ نفسه عقابا من الآلهة (Diodore,1948,XIV,73)، وهنا تكمن أهم الملاحظات حول كتابات ديودور الصقلي، فجاء إدراج الآلهة والأبطال بصورة واضحة في أعماله، فهو الذي انتقد المؤرخين الذين لا يقحمون الميثولوجيا (الأساطير) في كتاباتهم (Cécile,2018,p349).



سيراكوزة تحت سلطة دونيسيوس،المصدر:

Dummett jeremy, (2010), **Syracuse, City of legends A glory of Sicily**, London I.B. Tauris, p44**.**

1.5. ديودور الصقلي وفكرة الوباء والعقاب الإلهي في تفسيره الأحداث القرطاجية

نشير إلى نقطة مهمة فيما يخص ما كتبه المؤرخ ديودور الصقلي فقد اعتمد كلمة الوحشية في كثير من مراحل سرده للأحداث التي ميّزت فترة الصراع بين القرطاجيين والإغريق، فكانت له فرصة لتطوير خطابه الهيليني مقابل الشعوب التي اعتبرها برابرة (Pillot,2012,pp62-67)، فقد ركّز هذا المؤرخ (Diodore,1948,XII,86;XIV,62;XIV,63) على هذا العامل في عام 406 ق. م، حول نهب معابد ثيرون في أجريجانت من قبل حنبعل وهيميلكون، ومعبد جيلون وزوجته بالقرب من سيراكوزة بين 397-396 ق. م، بحيث كانت العمليتان تظهران (ثيرون وجيلون) في أعين الإغريق أبطالا للحركة الهيلينية، وذلك في إطار الدعاية لدونيسيوس، ولم يتوقف ديودور بهدف إبراز بشاعة القرطاجيين عند عمليات النهب التي وصفهم بها، بل أيضا جعلهم أعداء للآلهة الإغريقية، فمثلا ذكر أنّ هيميلكون وضع مركز قيادته في معبد زوس (Zeus)، وحطّم أكبر المعابد الإغريقية في سيراكوزة سيريس وبروسربين (Cérés و proserpine).

وبالتالي يكون هذا المؤرخ قد اعتمد في طرحه على اتهامات سبقته واستعملت عند تيمي وإيفور، فهو أراد أن يدمج هذه الأحداث وفق منطق خاص، فربط بين أحداث التهديم والوباء الذي أصاب الجيش القرطاجي، حيث سخّر فقرة ونصفا (الفقرتين 70، 71) حول الوباء كعقاب للقرطاجيين من قبل الآلهة، ويتضح لنا أن الوباء حسب ديودور كان له دور كبير في تراجع الجيوش القرطاجية مثلما أشار لويس موران (Maurin,1962,p25)، ويضيف فينلي (Finley,1968,p82) في هذا الإطار: "**لا نمتلك تفسيرا جيدا يمكن أن نقدمه، كذلك يحيرنا قليلا رؤية المؤرخين القدماء لصقلية، كثيرا ما يتخذون الوباء كعنصر أساسي في تفسيراتهم**".

ومن هنا يمكننا آن نؤكد أنّ ما جاء به ديودور الصقلي حول الوباء الذي أصاب الجيش القرطاجي، أثناء حصاره سيراكوزة وإشارته بأنه عقاب إلهي نتيجة المساس بالمقدسات الإغريقية، هو تفسير غير مقبول، وقد فنّدت ذلك بعض الدراسات التي اهتمت بالموضوع، ومن أبرزها ما قدمه الباحث ليتمان (Littman R.J) (Littman,1984,pp 10-116)، الذي تتبع حالة الوباء التي ذكرها ديودور الصقلي في كتابه الرابع عشر الفقرة السبعين، ورأى أنها من الوباء الذي أصاب الأثينيين بين 430 و427 ق. م، وبعد أن أشار إلى أنّ الأوبئة المعدية لا يمكن أن تضرب مدينة واحدة، في وقت واحد وبعدها تختفي، فعمرها الافتراضي قد يكون بين30 و40 سنة، وأشار إلى أن الأثينيين أصيبوا بالوباء نفسه عام 413 ق.م في سيراكوزة بعد الحملة التي قاموا بها ضدها، وهو الوباء الذي أصاب القرطاجيين في سيراكوزة وهو من نوع "**الجدري**".

ونخلص إلى أنّ الوباء الذي أصاب الجيش القرطاجي - الذي أشار إليه ديودور- في سيراكوزة إنما هو نتيجة لانتقال عدوى الوباء الذي مسّ الأثينيين في نفس المدينة بتاريخ 413 ق.م، ذلك ما يجعلنا نردّ الفكرة التي وظّفها ديودور الصقلي وهي أنّ غضب الآلهة الإغريقية هو سبب ما حلّ بالقرطاجيين من وباء.

2.5. معاهدة السلام بين القرطاجيين والإغريق

في حديثه عن تداعيات معركة سيراكوزة، أشار ديودور إلى نقطة مهمة، حيث ذكر أنّ القرطاجيين بعد انهزامهم، بعثوا إلى دونيسيوس السماح لهم العودة إلى ليبيا مع إعطائه 300 تالنت (وحدة قياس وزن) (Diodore,1948,XIV,75)، ذلك ما نعتبره تكرار لظاهرة الرشوة التي بات يرددها هذا المؤرخ في تفسيره لبعض الأحداث، ومن جهته أعتبرها وارمينغتون (Warmington,1961,p134) مجرد إشاعة، الهدف منها التقليل من شأن القرطاجيين، الذين ما زالوا يمتلكون سفنا سليمة في الميناء الخارجي، مما يصعب على السيراكوزيين منع هيميلكون من التنقل، وأضاف ديودور بأنّ دونيسيوس سمح للمواطنين للقرطاجيين فقط بالخروج ليلا، لأنه كان يعلم معارضة السيراكوزيين والحلفاء لهذه الصفقة، وكان "**لا يرغب في القضاء نهائيا على القرطاجيين، الذين بإمكانهم جعل السيراكوزين يخضعون للنظام ولا يطالبون بحرياتهم**"، وفي اليوم الرابع خرج القرطاجيون – حسب رواية ديودور – بعد دفع المبلغ المالي، وأبحر هيميلكون ليلا مع سكان قرطاجة على متن 40 سفينة، فلاحقتهم القوات الكورنثية وأغرقت بعض السفن، وترتب على ذلك أن تكبد الجيش القرطاجي خسائرا فادحة، هذا وقد استفاد دونيسيوس من الأيبيريين وضمّهم إلى المرتزقة وتمّ أسر البقية(Diodore,1948,XIV,75).

حاول ديودور أن يقدم لنا نهاية درامية للقائد القرطاجي هيميلكون، وهي نهاية غريبة كما وصفها موران (Maurin,1962,p27)؛ فحسب تفسير ديودور فإنّ القرطاجيين بعد ما كانوا سادة على معظم جزيرة صقلية خسروا 50 ألفا نتيجة الوباء، والقائد القرطاجي نفسه فرّ إلى قرطاجة مع عدد قليل من الجند، وخضع لانتقام عنيف من قبل الآلهة وترك نفسه يموت جوعا، وحتىّ المؤرخ جيستان جاء برواية حول دور الطاعون، والغضب الإلهي في انهزام الجيوش القرطاجية، وركّز على النهاية الأليمة لهيميلكون (Justin,XIX,3)، كما قدّم لنا ديودور (Diodore,1948,XIV,77) الحالة التي آلت إليها الأوضاع في قرطاجة بعد هذا الانهزام، فدبت الكراهية والتذمر بين حلفاء قرطاجة نتيجة الاضطهاد الذي مارسه قادة الجيش، لا سيما بعد أن تخلى عنهم هيميلكون في سيراكوزة، فقاموا بحركة تمردية لاستعادة استقلالهم، وكوّنوا جيشا من الأحرار والعبيد بعدد 200000، واستطاعوا السيطرة على تونس بالقرب من قرطاجة، وحققوا انتصارات على القرطاجيين وجعلوهم يتراجعون إلى الوراء، ويقحم ديودور كعادته في تفسيره بعض الأحداث دور الآلهة في حسم مصير القرطاجيين، ويقدم لنا بطريقته دور المعبودات الإغريقية في إنقاذ القرطاجيين من المصيبة، حيث ذكر أنه بعد مناشدتهم الآلهة الإغريقية استعدوا للحرب.

ومن جهة أخرى يمكننا أن نستخلص التأثير الديني الذي كان يربط بعض الشعوب حتى وان كانت في حالة حرب، وهذا لا يعني تصديق ما أشار إليه ديودور الصقلي من تأثير للمعبودات الإغريقية على القرطاجيين، فهذا التفسير يبقى غير مقبول ويعكس عجز المؤرخ على إعطاء تفسيرات واقعية لمختلف الأحداث خاصة عندما ترتبط بالقرطاجيين والفينيقيين والشعوب الأخرى غير الإغريقية.

6. ماغون يخلف هيميلكون ويواصل مواجهة طغاة سيراكوزة 396 – 383 ق.م

1.6.معركة اباكاينوم (Abacaenum) 393 ق.م

بعد هيميلكون تمّ اختيار القائد ماغون، الذي سبق وأن حقق انتصارا في كاتانا وواجهة الثورة في إفريقيا، وقد اتبعت قرطاجة في هذه الفترة سياسة مغايرة، إذ ظهر التنسيق بين العمليات العسكرية والأنشطة الدبلوماسية بين 391 – 383 ق. م، وذلك ما يشير إلى أنّ السياسة الخارجية أصبحت في أيدي شخص واحد في هذه المرحلة الهامة (Picard G,picard C,1968,p128)، ومن ناحية أخرى وبعد انتشار الأمن في قرطاجة، تحرك ماغون نحو صقلية، وأبدى حنكة كبيرة في إدارة شؤون قرطاجة في الجزيرة، وذلك من خلال كسب تعاون سكانها الذين ربطتهم علاقات جيدة مع القرطاجيين (الصقل، السيكان، الإليميين) (Diodore,1948,VIV,90)، ولم يكن تقدم ماغون نحو مسينا عملا عدائيا بل كان نتيجة تحرشات دونيسيوس عام 398 ق. م، فبعد انهزام هيميلكون لم ينه رسميا حالة الحرب، ولم يتم إبرام أي معاهدة سلام في هذه الفترة، ولا نمتلك أيضا معلومات حول ما حدث في صقلية وسيراكوزة بين 396 و392 ق.م (Kalalla,1991,p165)، وبعد أن سيطر ماغون على المناطق المجاورة للمدينة نقل معسكره إلى نواحي مدينة أباكاينوم (**Abacaenum**) المدينة القريبة من تينداريس (Tyndaris)، ومن جهة أخرى تقدم دونيسيوس بقوة كبيرة واستطاع إلحاق الهزيمة بالقرطاجيين الذين خسروا أكثر من 800 فرد (Diodore,1948,XIV,90)، ولم يقدم لنا ديودور الصقلي تفاصيل المعركة، وقد يكون عامل التفوق العددي لقوات دونيسيوس وراء هذا الانتصار، لأنّ ماغون قام بالحرب معتمدا فقط على القوات القرطاجية في صقلية، وعلى السكان الأصليين، وبذلك كان الجيش القرطاجي ضعيفا مقارنة مع الجيش السيراكوزي (Freeman,1891,VO 4,p169).

2.6. معركة شريزاس (Chrysas) 392 ق.م

جمع ماغون قوات كبيرة 80000 فرد، وأراد إخضاع عدد هام من المدن الحليفة لدونيسيوس، وعسكر هذا الأخير في أراضي الأجيريين (Agyriens)، حول حواف نهر شريزاسChrysas، وبعد علمه بقدوم القرطاجيين عبر الطريق الداخلي، جمع ما أمكن من الجنود السيراكوزيين وانتقل ب 20000 من المحاربين، ثم بعث إلى أجيريس (agyris) حاكم أجيريون (Agyrieens) وطلب منه التحالف، مع وعده بأراض واسعة بعد نهاية الحرب، وعلى إثرها وضع حاكم هذه المدينة كامل قواته تحت تصرف الطاغية دونيسيوس (Diodore,1948,XIV,95).

ولابد أن ماغون في مثل هذه الظروف قد أصبح في وضع حرج، فمن جهة كان جيشه يحارب على أراضي العدو، ومن جهة أخرى واجه مشكله الغذاء والمؤونة، فضلا عن أنّ قوات أجيريس (Agyris) كانت على دراية تامة بالمكان، وحاول السيراكوزيون استغلال هذه الفرصة، والانقضاض على القرطاجيين وسحقهم نهائيا، لكن دونيسيوس عارض ذلك بدعوى أنه سيقضي عليهم مع الوقت بالتجويع، وكمثل المرات السابقة

غضب السيراكوزيون من هذا الموقف، وقرروا التخلي عن دونيسيوس، واتهموه بالحفاظ على مصالحه فحسب وطالبوا بحرية العبيد، وهنا يروي لنا ديودور موقفا لا يقل غرابة عن ما سبق، حين أرسل القرطاجيون إلى دونيسيوس مبعوثين لبحث شروط السلام(Diodore,1948,XIV,96).

ويعلق الباحث فريمان (Frreman,1891,VO 4,pp 171-172) على هذه الأحداث ويقول "**أنه من الغريب أن يرفض دونيسيوس طلب السيراكوزيين والقضاء على القرطاجيين، وكذلك من الغريب أنّ القائد القرطاجي ماغون لم يستغل هذه الفرصة للمهاجمة، عندما ضعف الجيش الإغريقي وجيش الصقل بعد خسارتهم الكبيرة، والأكثر غرابة كيف يبعث ماغون ممثلين لدونيسيوس لبحث السلا م؟**".

ويجب الإشارة إلى أنّ ديودور (Diodore,1948,XIV,96) لم يقدم لنا تفاصيل هذه المعاهدة، فقط ذكر بأنها مماثلة للمعاهدة السابقة ويقصد بذلك معاهدة 405 ق.م، وقد يكون التفسير الذي جاء به وارمينغتون (Warmington,1961,p135) صحيحا، بأنّ ماغون كان بعيدا عن قاعدته العسكرية، إضافة إلى أنّ هدفه الأساسي من هذه العملية هو الضغط على دونيسيوس لتحقيق سلام يخدم مصالح قرطاجة، أمّا بالنسبة لدونيسيوس فكان في حاجة إلى كسب وقت لتثبيت إمبراطوريته على صقلية الإغريقية.

3.6. معركة كابالا (Cabala) 383 ق.م

مرة أخرى يشير ديودور الصقلي إلى عدم التزام دونيسيوس بالمعاهدة التي أبرمت بين الطرفين، وراح يبحث عن أعذار لمباشرة الحرب، فعمل على تحريض المدن التي كانت خاضعة لقرطاجة، واحتضن كل من يخرج عن طاعتها، هذا وقد طلب منه القرطاجيون العدول عن أعماله - بحكم الاتفاق المبرم بينهما - لكنه رفض، وكان ذلك مؤشرا على عودة المواجهة، وفي غضون ذلك أقام القرطاجيون تحالفات مع سكان المدن الصديقة وعزموا على مواجهة الطاغية دونيسيوس، ولأنهم اعتقدوا أنّ هذه الحرب ستطول مراحلها، سمحوا للمواطنين على حمل السلاح، واستفادوا من خدمات المجموعات الأجنبية الأخرى، كما عكف القائد القرطاجي ماغون على تجنيد الآلاف من العناصر، وأرسلهم إلى إيطاليا وصقلية لخوض الحرب هناك، وبدوره دونيسيوس قسّم جيشه إلى قسمين لمحاربة الإيطاليين والفينيقيين (القرطاجيين) على السواء (Diodore,1948,XV,15).

ويرى وارمينغتون (Warmington,1961,p136) أنّ التحالف الإيطالي القرطاجي كان خير دليل على أنّ الصورة التي قدمت حول قرطاجة كعدو مشترك، لم تكن مقبولة على المستوى العالمي، وقد وقعت هذه المواجهة في معركتين هامتين (كابالا، كرونيون)، الأولى بالقرب من كابالا (Cabala)، وقتل فيها من القرطاجيين 10000 وأسر على الأقل 5000، وحتى القائد القرطاجي ماغون قتل فيها بعد مقاومة بطولية، وبعد هذه الهزيمة بعث القرطاجيون إلى دونيسيوس من أجل بعث معاهدة سلام أخرى بين الطرفين، لكن دونيسيوس اشترط خروج القرطاجيين من كل المدن في صقلية مع تعويض الخسائر (Diodore,1948,XV,15).

4.6. تصدي القرطاجيين لمشروع دونيسيوس

تظاهر القرطاجيون بقبول شروط دونيسيوس، وأكدوا أنّ أمر ترك هذه المدن والانسحاب منها هوعملية سيادية، والدولة القرطاجية فقط لها صلاحيات البت في الموضوع، والمسألة باتت تحتاج إلى وقت، ولم يتأخر دونيسيوس في قبول هذا الطلب، واعتبره فرصة تجعله سيدا على صقلية في وقت قصير، واستغل القرطاجيون من جهتهم هذه المدة، أولا في إقامة مراسيم دفن هائلة لقائدهم ماغون في قرطاجة، وثانيا في تنظيم الجيش وتنصيب ابنه على رأس هذا الجيش(Diodore,1948,XV,16) ، وبالتالي ربحوا وقتا كافيا من هذه الصفقة (Gsell,1927,T III,p10).

وبينما لم يذكر ديودور الصقلي اسم القائد الذي خلف ماغون، ورد اسم هيميلكون (Himilcon) عند بوليان (Polyen,1840,Vo10) في المعركة الثانية التي دارت بالقرب من مدينة كرونيون (Croniun) 376 ق. م، والتي قتل فيها القائد لبتين (Leptine)، وخسر الجيش الإغريقي 14000 مجندا، وحقق القرطاجيون انتصارا كبيرا في هذه المعركة، ثم انسحبوا نحو بانورم، وككل مرة كان القرطاجيون سبّاقون للسلام، فبعثوا إلى دونيسيوس من أجل معاهدة سلام أخرى (Didore,XV,1948,16-17)، لكن **لماذا لم يستغلوا هذا الانتصار في القضاء على الجيش السيراكوزي؟** ربما يوحي ذلك بان الصراع لم يكن هدفه اجتثاث الطرف الأخر من الجزيرة.

وقد تلقى دونيسيوس هذا العرض بترحاب كبير، ونص هذا الاتفاق على أن يحافظ الطرفان على مناطقهما القديمة، وهو ما يعني حفاظ القرطاجيين على سيلينونت وقسم من أراضي أجريجانت حتى نهر هاليكوس (Halycus)، (أصبحت تسيطر على ثلث الجزيرة)، وعلى دونيسيوس أن يدفع ما قيمته 1000 قطعة تالنت (Diodore,1948,XV,17)، وعلّق الباحث بيكار (PICARD G,Picard Co,1968,p127) حول هذه الأحداث بأنها من مصدر واحد يوناني يرى بأن قرطاجة عدو دائم ولا يستحق الاهتمام، مثل ما حدث لألمانيا في الكتب المدرسية الفرنسية، وبالتالي من الصعب إعادة بناء تاريخ قرطاجة في ظل هذه الأدلة المجزأة طيلة هذه الفترة الهامة من تاريخها.

لكن تبقى الملاحظة الأساسية فيما جاء به ديودور حول التاريخ العسكري لقرطاجة، بداية من معركة هيميرا 480 ق.م هو تكراره لفكرة الوباء الذي حلّ بالجيش القرطاجي، وارتباطها بالغضب الإلهي، فهذه المرة ذكر أنّ الوباء استفحل بين سكان مدينة قرطاجة، وقال: "**قرطاجة تبدو أيضا وكأنها أصيبت بغضب الآلهة**"، ويضيف أنه في السنة نفسها أي عام 379 ق.م واجهت قرطاجة انتفاضة الليبيين وسكان سردينيا، وأصبح الوضع حرجا فعمّت الفوضى والاضطرابات التي لم تهدأ كما أشار ديودور حتى تقديمهم القرابين للآلهة، ومنها استطاعوا إفشال الثورة في ليبيا والتمرد في سردينيا (Diodore,1948,XV,48)، وهذا كله أمر مبالغ فيه في رأيينا.

5.6. تقويض دونيسيوس معاهدة السلام مع القرطاجيين

أشار المؤرخ ديودور مرة أخرى إلى تملص القائد السيراكوزي من معاهدته مع القرطاجيين، فبعد الاتفاق السابق بين الطرفين قرر محاربتهم، بدعوى تحرشاتهم على الأراضي الخاضعة لسيطرته، لكن ذلك كان مجرد ذريعة للدخول في حرب أخرى ضدهم (Diodore,XV,73)، وقد يكون رد فعله هذا بسبب الأوضاع التي مرّت بها قرطاجة، من وباء وثورات الليبيين والسردينيين (Warmington,1961,p138)، وبعدها تقدم القائد دونيسيوس بجيش قوامه 30000 من المشاة و300 فارس و300 من السفن الثلاثية، وباشر غزو الأراضي التي كانت تابعة لقرطاجة، ومنها سيلينونت وإنتلا (Enella)، وأصبح سيدا على إريكس (Eryx)ʹ، ثمّ حاصر مدينة ليليبيوم، لكنه واجه مقاومة عنيفة من سكانها، فاضطرّ لرفع الحصار عنها، وبعد سماعه خبر تحطم القوة البحرية القرطاجية، انطلق ب 130 سفينة ثلاثية، وعدد من المراكب (Diodore,1948,XV,73)، إلاّ أن الخبر كان خاطئا، وقد يكون مصدره القرطاجيون أنفسهم (Freeman,1891,p208)، ومع ذلك أمر قسم من قواته الدخول إلى إريكس، وبعث بالبقية إلى سيراكوزة، وبالمقابل عكف القرطاجيون على تجهيز 200 سفينة وهاجموا المراكب الإغريقية وقت دخولها ميناء إريكس، وقد ترتب على هذا الهجوم المباغت تحطيم قسم كبير من هذه المراكب، وبعد فترة قصيرة من نهاية المواجهة أبرمت معاهدة سلام أخرى، وتراجع كل طرف إلى مدنه، ويذكر ديودور (Diodore,1948,XV,73) عن دونيسيوس أنه مات بعد 38 سنة من الحكم، وخلفه ابنه دونيسيوس الشاب الذي بقي كطاغية في سيراكوزة مدة 12 سنة.

خاتمة

كانت هذه الأحداث جزء من تاريخ قرطاجة العسكري الذي خاضته ضد إغريق صقلية، من القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الثالث قبل الميلاد، من أجل الحفاظ على مصالحا في صقلية وفي مواجهة طغاة حكموا سيراكوزة لعهود طويلة بداية من جيلون في القرن 5 ق.م إلى أغاثوكليس في القرن 4 ق.م، فقد واجهت دونيسيوس من أبرز الطغاة الذين عرفتهم سيراكوزة في تاريخها، واستطاعت بفضل رشادة سياستها في إدارة شؤونها الخارجية، وقوة جيشها الذي راهنت عليه طيلة وجودها، الحفاظ على تفوقها في جزيرة صقلية، رغم التحالفات والمؤامرات التي حيكت ضدها، فكانت محاولة دونيسيوس هي الأخرى فاشلة على الرغم من الدعم الذي تحصل عليه من قبل الحلفاء، أو من خلال الأقلام الذي وظّفها الفلاسفة والمفكرون ضد الفينيقيين والقرطاجيين عموما من أفلاطون إلى ديودور الصقلي، لكن ما كانت مواجهة دونيسيوس لتضع حدا للصراع بين القرطاجيين والإغريق بقدر ما فتحت صراعا آخر ضد قائد قادم من كورنثا هو تيموليون.

قائمة المصادر والمراجع

1-Baclouti Habib, (1995), «**La Conception de La guerre cher Les Carthaginois** » Africa,Reppal IX,Institut national du Patrimoine.
2-Bagnell Bury Jhon, (2015), **Ahistory of Grece, Royaume uni**, Combridge University Press.
3-Bentley Paul, (199), **Ancient Siege War Fare**, Indiana University Press.

4- Bouffier-Sophie, (1999), "**Collin,Denyse l'ancien et la guerre**" ,in Guerres et sociétés dans les mondes grecs,490-323,France, Editions du Temps.
5- Caven Brian, (1990), **Dionysius I war, Lord of Sicily**,London, Yale University press.
6- Charles river editors, (2016) **The Age of Tyrants: The History of the Early Tyrants in Ancient Greece**, USA, CreateSpace Independent Publishing Platform.
7- Diodore de Sicile, (1948), **Bibliotheque Historique**.Trad. Ferd Hoefer.Hachette,Paris.
8- Durvye Cécile, (2018), **The Role of the Gods in Diodorus' Universal History: Religious Thought and History in the Historical Library**. L. I. Hau, A. Meeus, B. Sheridan (eds). Diodoros of Sicily: Historio- graphical Theory and Practice in the Bibliotheke., 58, Peeters, Studia Hellenistica.
9- Finley (MI), (1968), **La Sicile Antique des Origine à L'époque Byzantine**,**Trad** Carlier Jeannie,Paris, Macula.
10- Fremann, (1861) **A.History of Sicily From The earliest times** ,V 2.Oxford Clarendon press.
11- Gsell Stéphan, (1918), **Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord**,France, Hachette.
12- Hall joshua,2023, **Carthage At war punic Armie 814-146,** Great Britain, Pen & Sword Military.
13- Justin, (1862), **Histoire Universselle,Trad** Boitard,france, Librairie Hachette.
14- Kallala Nabil, (1991), «**Nature et Enjeu du Comflit Gréco-Carthagianois de la fin du Ve Siècle à la veille de l'invation de Pyrrhus »**, Acte du III Congrés Phéniciennes et Puniques.novembre.
15- Lampadiaris Nikolaos (2021), **Syracusan Imperialism (431-367 BC) An Analysis of Syracusan Foreign Policy in Sicily, South Italy, and Greece**, Thesis Presented to the Faculty of Humanities, the Leiden University Institute for History, In Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Ancient History, Pays-Bas.
16- Lévêque Pierre, (1966**), La Sicile**, Paris, Presses Universitaires de France.
17- Littman (. R. J), (1984) « **The Plague at Syracuse :396 B.C. » Mnemosyne**, Fourth Series, Vol. 37, Fasc,1/2.
18-Maurin Louis, (1962) **« Himilcon Le Magonide Crises et mutations à Carthage au début du IV Siècle avant J.-C »**, Semitica.
19- Miles Richard, (2011), **Carthage Must Be Destroyed: The Rise and Fall of an Ancient Civilization** USA,Viking Penguin.
20- Pillot William, (2012), «**Les Carthaginois dans la Bibliothèque Historique de Diodore de Sicile**», Τεκμήρια.
21- Plato, (1997), **Complete works, Edited, by JOHN M. COOPER**, États-Unis Hackett Publishing Company.
22- Polyen, (1840), **Ruses de Guerre, Bibliotheque Militaire, Admistration**, Paris, place de la bourse.
23- Spagnoli Federica, (2014), « **Phoenician Cities and Water: The Role of the Sacred Sources in the Urban Development of Motya, Western Sicily»**, In A History of Water Series III Volume 1: Water and Urbanization. Edited by T. Tvedt and T. Oestigaard, I.B Tauris, London/New York.
24- Thatcher Mark R, (2021),**The Politics of Identity in Greek Sicily and Southern Italy**, United States, Oxford University press.
25- Warmington (BH), (1961), **Histoire et Civilisation de Carthage,Trad Guillemin** ,Paris ,payot.
26- Werner Soedel, Vernard Foley, (1979), «**Ancient Catapults », Scientific American a division of Nature America**, Inc,VOL 240 NO 3.